[179] القرآن الحكيم من علم وحكمة، ونظم اجتماعية، وسنن وفرائض وآداب وأخلاق، ومواعظ وعبر، وأخبار الامم الماضية، والقرون الخالية، فإذا هؤلاء أيضا مبشرون - ببطن مكة - ومنذرون، وقد كان لعملهم هذا أثره العظيم في تسهيل أمر الفتح، بلا قتال ولا ممانعة، والحمد ﷲ. وهناك من فوائد الصلح ما حصل بمجرد اجتماع المشركين مع رسول اﷲ صلى اﷲ عليه وآله في الحديبية، ووقوفهم على هديه وخلقه بامعان، وكان أكثر قريش - إذ ذاك - لا يعرفون منهما شيئا، ولاسيما شبابهم، إذ كان أبو جهل والوليد وأبو سفيان وشيبة وعتبة وأمثالهم من مشيخة الاوثان والجاهلية أرجفوا برسول اﷲ صلى اﷲ عليه وآله وتسنى لهم تسميم الرأي العام الجاهلي فيه، وقد أجلبوا عليه بكل مالديهم من حول وطول، وبكل ما يستطيعونه من فعل وقول، ليطفئوا نور اﷲ بأفواههم ويأبى اﷲ الا أن يتم نوره. قصدوه وهو في دار هجرته محاربين ليقتلوه وأصحابه، وليستأصلوا شأفة الذين آووه ونصروه بغيا وعدوانا، فنصره اﷲ عليهم في بدر وأحد والاحزاب (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد ﷲ رب العالمين) (236). لكن ظل أهل مكة - بعد هذه الحروب - على ضلال رأيهم المسموم في رسول اﷲ صلى اﷲ عليه وآله إذ لم تره أعينهم بعد الهجرة، ولم يبلغهم عنه الا ما سمعوه من اولئك المرجفين، فلما كان يوم الحديبية، واختلطوا به وبأصحابه، رأوا منه خلقا عظيما. كانوا كلما تبغضوا إليه بجفاء وسوء صنع، تحبب إليهم بحنو وعاطفة وحسن صنع، فإذا قسوا وأغلظوا له لان وخفض لهم جناح الرحمة، مستمرا

_____

(236) سورة الانعام: 45.